بوابة طيطلة

— ١ —

لبست قناع التنكر علّي أسوح بليل المدينة
وأدخل — عبر شوارعها وظلام الازقة —
أخوّص في جو احلامها ورؤاها الدفينة
(وعلّ رجال الدرك
يقولون في الصبح : كان هنا
تفقّدنا واحدا واحدا ، وتفقد صمت الرعية
وأحزانها ومخاوفها ، وتفقد قفل السكينة
وأبوابها الخشبية).
فقابلني دركيّ (رأى كل من جلسوا فوق عرش البلاد
وعلّق في طوقه المتهدل مفتاح ميراثهم
وأقنعة الاوجه الملكية) .
أشار فأسقط عني قناعي
— : هنا الباب .. هل جئت بالقفل حتى يتم العماد
فكل مليك له عروة في الرتاج
اذا وضع القفل فيها تنفس اسلافه واستراحوا
وقدّسه وارثوه ..

— ٢ —

تخذت — من اليأس — سور المدينة
كتابي وحجّي
قرأت تواريخها ورؤاهاالخفية
واورادها ونوافل أعيادها البربرية
وقلّبت في كنزها المتجدد من عربات النفاية
وميراثها المتعفن بين المزابل
رأيت عصارة احزانها وخطاها
بقايا طعام رخيص وعقي مواليدها ومداميك من غائط،
ورأيت القشور
— وقد مضغت مرتين — وحطت حروف التهجي
ذبابا يطن باسماء ابنائها اجمعين ..

— ٣ —

يقول لي الدركي :
« وكان أبوك الملك
يجيء ويسألني عن جذور القبيلة
وافرع انسابها واختلاط دماها
فأحكي وأحكي
ويسألني عن طقوس الرتاج وباب المدينة
فأبكي وأبكي
وأصمت » .

— ٤ —

زرعت على القبر زيتونة (في رؤى النوم) مدت ظلال
الفروع
وأثقلها الزهر حتى انحنت (كنت من فرحتي اتشقق
— كالطمي — من قهقهات الدموع
وتطلع من جسدي غابة وتشق السنابل
مطالعها في كتاب الضلوع
رأيت الغمامة حبلى) ومن خلل الماء فيها
رأيت شرارة برق تطير بزيتونة الحلم ،
تهوي بافرعها الموقدة ،
تشق الحجارة عن ساكني القبر .
امي تجر بقايا الكفن
ويصعد هيكلها الشجيّ وتصرخ جوعا لكسرةخبزوحفنة
ماء
وتصرخ .. تصرخ .. يرفعني صوتها من غواشي المنام
فيسقط عني قناعي
وادخل مملكة الجوع .. تاجي على الرأس، والصولجان
رتاج وقفل صديء ..

— ٥ —

وفي ظلمة الليل .. كنت ارى الحاشية
تهمهم في الردهات الوسيعة
وتنسج من غمغمات الوقيعة
صدى يتهدل فوقي ببرق الوساوس
وخوف العدو وخوف الصديق
وجئت وحيدا ، وناديت من جلسوا فوق عرش المدينة
ارد لهم كل ما اورثوني
وحطمت باب الطقوس القديمة ، خلّعت اقفال تتويجهم
ودخلت البناء العتيق
أقلّب عينيّ بين التصاوير .. كانت وجوه الملوك
بكائية تتابع (هذا أنا يا ملوك الفجيعة
أرد لكم نسبي) . وأرى عند خط التقاطع
تصاوير وجهي المطارد
وسيل الجيوش الغريبة
يسيّج مملكتي المستحمة بالدمع والدم،
كانت سطور النبوءة
عناقيد من صرخات القبيلة تحت السنابك
(هنا .. أعين الراحلين
مفتحة ، والأكفّ
على مقبض السيف معروقة يابسة
وورد الجراح يجفّ
ويلتف تحت نسيج العناكب
فيا أول الداخلين
تأمل ملامح وجهك فوق الحوائط
وجهز خيولك
لترحل — قبل اندفاق الجيوش الغريبة —
لتنفاك بين الزمان وبين المكان)
اراهم يجيئون تاجا من الشوك حول المدينة
يضيق فتنفر منها الدماء
ويصطبغ الخبز والكلمات الحزينة
أراهم رؤى في العيون النواعس
وهمهمة — في عيون الاخلاء — تضفر زهر الخيانة
وتجدل باقات موتي
(صفوف السبايا تدور
ويلمع ضوء الميادين ، تفرخ في واجهات المتاجر
طيور الاشاعات ..
يا اول الداخلين
تأمل رسوم الخرائط
وارغفة الارض اذ تتآكل تحت السيوف
ويا أول الداخلين
تقبل مصيرك
وجهز خيولك
وزوّادة السفر المتجدد . لا انت حي
ولا انت تدخل مملكة الميتين ..)
وفوق يدي كان وشم الفراشة
وجنية البحر والزهرة الطالعة
بكاء تجمّد ...

القاهرة — محمد عفيفي مطر